الموت يبتسم للجميع

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

الموت يبتسم للجميع
شريف سالم
تصميم الغلاف: أسامة علام
تدقيق لغوي: هالة أبو المجد
رقم الإيداع: 2019/27499
الترقيم الدولي: 978-977-6634-39-8
الطبعة الأولى: 2020

شريف سالم

الموت يبتسم للجميع

رواية

إهداء

إلى الأشياء التي لم أفهمها،

لتبقِ مكانك بعيدًا عن طريقي..

فالجحيم يسكن في ما تركته المعرفة في الذاكرة.

الخوف هو الإجابة

نخاف من المجهول الذي لا نفهمه، فإذا فهمنا تحول إلى رعب، نهرب من كوابيسنا بأن نصنع كوابيس جديدة. الخوف يجعلنا نتحد معًا ثم يفرقنا جميعًا، نهرب من السيئ إلى الأسوأ بحثًا عن شيء يُدعى الأمان فقده الكوكب بأسره.

الخوف هو الإجابة لكل شيء.

فأغمض عينيك، واحتوِ الجنون داخلك، واخضع للرعب من حولك في سكون، وتمتم:

«أنا خائف، إذًا أنا حي.»

إذا كان هناك شخص ما شرير وهناك إجماع على ذلك، فما الذي يجعل قتله حرامًا أو فقط ملك يد العدالة البطيئة الحائرة؟ من سيحزن عليه؟ لن أضحك على نفسي قائلًا إنه قد يتوب في يوم ما ويتحول إلى شخص صالح، هذه ليست ديزني لاند، فقط الأخيار يتحولون إلى أشرار في هذا العصر لا العكس. إن بقاء مثل هؤلاء يساعد الناس في الإيمان بأن الشر يسود فيتحولون إلى أشرار ببطء، فلماذا لا نساعد على هذا من باب منع الضرر عن البشر؟ هذا ما أنا هنا لكي أحاول أن أفعله، في عالم الخير فيه لا يستطيع صد الشر، الشر فقط يقدر أن يقوم بالمهمة.

كان الهدف هو سائق توك توك في حوالي العشرين من عمره. ليس كل السائقين أشرارًا، ولكن هذا الوغد يستحق، الأساس في الاختيار هو ثأر قديم، جلسنا ليلًا ننتظر كعادتنا الساعة المناسبة، نراه قادمًا وراحلًا عدة مرات مع زبائن أو زملائه المدمنين.

الساعة الحادية عشرة مساء طوال اليوم يستمع إلى الأغنية نفسها، إحدى أغاني المهرجانات القبيحة، ننتظره ليأتي منفردًا وأشير إليه فيقف ويتحدث بنوع من الاستخفاف:

- وإنتوا رايحين فين إن شاء الله؟

- الواحة يا باشا.

- طيب اركبوا.

نركب ويبدأ في التحرك.

بين الحي العاشر وحي الواحة يربط بينهما طريق طويل نحو 400 متر، مظلم وتقع في جانبه أرض فضاء حوَّلها السكان إلى مقلب قمامة عملاق.

سيأخذ بالضبط 20 ثانية من أول الطريق إلى آخره.

أوله فاكهاني وآخره كشك سجائر، لهذا علينا أن ننهي كل شيء بسرعة بين النقطتين، على أمل أن لا أحد يسير في الشارع فلا نضطر إلى تكرار المحاولة. 7 ثوانٍ من أول الطريق للتنفيذ.

يتجه يمينًا إلى أول الشارع، الشارع خالٍ تمامًا.

سبع ثوانٍ..

ستة..

خمسة..

أربعة..

ثلاثة..

اثنان..

واحد..

الحكاية الأولى

الوحيد

+ظجمحع +هقع

موت صغير

«أتمنى لكم بعد حياة طويلة من الصبر على المعاناة والألم في صمت، أن يسمحوا لكم بالأنين في الجحيم.»

***

صوت عقارب الساعة

هناك شخص ما يقف في منتصف الغرفة في المسافة الفاصلة بين الفراش والباب، خيط عريض من النور الأصفر يطل من خارج باب الغرفة الموارب يرسم نصف ملامح جسد هذا الشخص ويرمي بظلاله عليَّ وعلى الغطاء والفراش، يقف هذا الشخص دون حركة، دون أن يتنفس حتى.

أفتح عيني بهدوء محاولًا أن لا أظهر للشخص المجهول أني مستيقظ، لكن جفوني تخدعني ورموشي تهتز فأسمع نفسًا يخور من صدر الغريب كالثور، هو يعلم الآن أني حاضر بالوعي. أفتح عيني بالكامل استعدادًا للمواجهة، لكن لا شيء من وجهه يظهر، فقط شعر رأس خشن وملتف حول بعضه، كالدود في جسد الميت، ليحدد ملامح رأسه الذي زُرع على جسد ضخم البنية عاري النصف العلوي بشعر كثيف على الذراعين وكتفين كالقرود. لم يظهر شيء من

وجهه حتى ابتسم، فظهرت أسنانه بنفس لون الضوء الأصفر الذي يقبع في الخلفية. يتحدث هذا الشيء بصوت محشرج بإيقاع بطيء ومهيب:

- أنا كل ليلة واقف.. هنا، مستنيك تصحى.

لم يتحرك فيَّ إصبع، حتى إني شعرت أن الدم توقف عن الدوران في جسدي وأن عيني ينسحب منهما الضوء.

في تلك اللحظة يمد يده، ويكشف الغطاء، ويمسك قدمي العارية، ويبدأ بسحبي من على الفراش. أفتح فمي وأهم بالصراخ، ولكن لا شيء يخرج ولا حتى الهواء، فم مفتوح في جمود فقط، يكاد فكي يتهشم من تصلبه، وأنا أتشبث بالفراش، لكن هذا الشبح خارق القوى بالنسبة إليَّ، في حين أقاوم، وأسمع صوت صرير تخبط أسنانه ينخرط بصوت تهشم أسناني وأنا أغلق فكي مرة واحدة، والدموع المحبوسة تلوح من بياض عيني فأغلقهما وأنا أتحدث إلى عقلي:

- كل حاجة هتعدي.

كل حاجة هتعدي.

كنت عاجزًا عن الصراخ حتى في عقلي، عاجزًا أن أعلو بأفكاري لتغطي على الرعب المحاصر، تفلت يداي المتشبثتان بظهر الفراش ويجرني الشخص بقوة فألوِّح بيدي محاولًا أن أتشبث بأي شيء، فأجد يداي تمسكان ذراع شخص آخر، فتتحول عيناي من الذي يتشبث بقدمي إلى الذي أتشبث أنا بذراعه فأصطدم بعينين داميتين، يقترب مني وجهه فتصدم أنفي رائحة نفس مقيتة كالقط المتحلل، والشخص يسحبني من رأسي ويضع شفتيه المبتلتين باللعاب على أذني وأنا أشعر بحافة الموت تقترب، وهو يتمتم بصوت محشرج متوعد:

- المرة دي هتصحى، المرة الجاية لأ.

تعود الغرفة إلى وضعها الطبيعي وأستيقظ من الكابوس بأنفاس متلاحقة وجسدي متصلب بالفراش، وأنا أنظر إلى ساعة جدي القديمة على الكومودينو بجانبي، الساعة الثالثة صباحًا، أنتظر دقيقة حتى أتمكن من الحركة فأزحف ببطء بجسدي حتى أسقط من على الفراش مرة واحدة، وأقف بصعوبة وأنا أسير ناحية الشرفة الصغيرة الملحقة بغرفتي، وأفتحها وأقف على بابها وأنا ألتقط أنفاسي. لم أصرخ لا في الحلم ولا في الحقيقة، محاولًا أن لا أصدِّر مشاكلي للآخرين أو أصنع أحداثًا سريعة في منزل هادئ.

اسمي «رامي»، «رامي نادر ونيس»، طالب في أولى كلية صيدلة، وحيد أعيش مع والدي في الحي العاشر بمدينة نصر.

قد يكون اسمي سينمائيًّا، بعض سمات وجهي أيضًا، لكنني أمتلك تشوهًا في أحبالي الصوتية يجعل صوتي الخافت غير مفهوم، وعندما أتحدث بصوت واضح يشوب صوتي حشرجة مثل عويل الكلب المحروق. لن أتحدث عما يحدث عندما أصرخ، لكن يكفي أن أشرح الموقف المتكرر أنني عندما كنت أنادي زميلًا في المدرسة من الفصل، يجري المدرسون في المدرسة تجاه مكاني معتقدين أن أحدهم يقتلع عيني بشوكة بلاستيكية. لا أعرف لماذا لم يفكر أبي في عملية تجميل لي حتى الآن.

قد أكون معروفًا باسمي لكن ليس لديَّ أصدقاء أو شلة. جزء منها لأنني انطوائي، وجدت السعادة في أشياء أخرى غير مخالطة البشر، كل زملاء المدرسة لم يكونوا سوى زملاء. غير ذلك المنزل وهوايتي ونفسي، حتى كوابيسي المعتادة التي أحلم بها في صمت دون أن يعرفها أحد، أعالجها بنفسي. لكن كل هذا

جعلني لا أعيش الحياة التي أريدها ولم أنتهِ من مضايقات طلاب المدارس والسخرية المستمرة من صوتي على الأقل، فكان من نصيبي أن أُسمى أسماء مثل «شكمان» و«العو»، وغير ذلك في تجمعات الأسرة التي يملؤها الأقارب اللزجون والشباب التافه، وإن خرجت من كل هذا أواجه الشارع بكل ما يحمله من بشر يحملون كل أمراض العالم النفسية ويخترعون كل يوم مرضًا جديدًا.

أنا أكره البشر، بكل طوائفهم وأنواعهم وطرقهم وتصرفاتهم، تشفق عليهم وتكرههم، لذلك فمن المنطقي أن يكون علاج الشفقة على أحدهم هو ببساطة قتله. لكن كل عواصفي وأعاصيري ورعدي داخلي، لا أستطيع أن أفصح بها، لذلك ما يظهر أنني مؤدب والجميع ينظر إليَّ أني هادئ. هذا لا يرجع إلى أخلاقي بقدر مللي من نظرة الناس إليَّ عند سماعهم صوتي، نظرات التعجب والخوف والشفقة المختلفة، لا يحتملون كوني مختلفًا وفريدًا، لذلك فأنا نادرًا ما أتكلم مع أحد. الجميع يعتقد أني مريض بشيء ما، في المدرسة اعتقد الكثير من المدرسين أني مريض نفسيًّا نظرًا لأنني أصدر أنينًا أغلب الوقت أشبه بالزمجرة، لكن هذا الإحساس احتاج إلى كثير من الوقت لينتقل إلى عائلتي.

أبي طبيب وأمي صيدلانية، هما ذلك النوع من البشر الذي وُلد ليعمل ويكافح، وبرغم أننا ميسورو الحال إلا أنهما لم يفكرا في تغيير محل إقامتهما، ولكنهما لم يبخلا عليَّ في أي شيء، لم يفكرا في يوم ما أنني مختلف؛ نظرًا لأنهما لم يعاملا طفلًا غيري.

ولكنني أعرف بطريقة أو بأخرى، أعرف هذا في النهاية.

أنا مريض.

وتلك هي الحقيقة الثابتة طوال القصة.

***